الهلال
ذاكرة مصر الثقافية
تأسست عام 1892م
أقلام ضد الظلام
العدد 1574 - أبريل 2024 - الثمن 20 جنيهًا
ISSN 1110-8908

الفكر الظلامي أغلق أول معهد للتمثيل في مصر عام 1931

د. سيد علي إسماعيل
كاتب مصري

في عام 1930 افتتح أول معهد حكومي للتمثيل في مصر تحت إدارة زكي طليمات، وكان مقره في سراي موصيري بشارع فؤاد الأول، وكان الدكتور طه حسين يُدرس فيه مقرري: تاريخ أدب المسرح، وتاريخ الأدب. أما زكي طليمات فكان يُدرس مقرري: فن الإلقاء وحرفية المسرح، وجورج أبيض كان يدرس فن الإلقاء، والدكتور أحمد ضيف يدرس اللغة العربية، والآنسة منيرة صبري تدرس الرقص التوقيعي، ومسيو فاسياس لتدريس اللغة الفرنسية، ومسيو كوسناكي للسولفيج، وبيو ماكلور لحمل السلاح، وأحمد أحمد للألعاب الرياضة.

هذا المعهد لاقى إقبالاً كبيراً من راغبي الدراسة التمثيلية، حيث تقدم 340 طالباً وطالبة للالتحاق به، وتكونت لجنة اختبارهم من: محمد بك العشماوي سكرتير عام وزارة المعارف، والدكتور طه حسين، وزكي طليمات، وإبراهيم رمزي، وجورج أبيض. ونشر «علي أحمد باليغ» كلمة في جريدة «السياسية» في أول يوم دراسي، تحت عنوان «افتتاح معهد التمثيل»، قال فيها فيما يخص طه حسين: "... يجب التنويه إلى الفخر، الذي ناله هذا المعهد بانضمام زعيم من زعماء الأدب في البلاد، وفيلسوف من كبار مفكريها إلى هيئة أساتذة هذا المعهد، ألا وهو الدكتور طه حسين الذي نرجو من الطلبة أن يعلموا كل العلم أن دروس الأستاذ، هي الدروس التي ستكون أساس تثقيفهم وإعدادهم لفهم مهمة المسرح في الحياة العامة، وإمدادهم بتاريخ المسارح في العالم، وكيفية تطورها حتى بلغت البلدان الأجنبية الكمال المنشود لمسرحنا المصري".

وربما اسم الدكتور طه حسين؛ بوصفه أستاذاً في الأدب العربي في الجامعة المصرية، سيجعل القارئ يظن أن محاضراته في معهد فن التمثيل، ستكون أدبية، وتمس بعض الموضوعات المسرحية! والحقيقة أن مجلة «الصباح»، نشرت في شهري يناير وفبراير 1931، مجموعة من الأخبار، عرفنا منها أن الدكتور طه حسين، كان أنشط أساتذة المعهد

لجنة قبول طلاب المعهد من اليمين إبراهيم رمزي وزكي طليمات ومحمد العشماوي وطه حسين وجورج أبيض

في تنشيط قدرات طلابه، بما يقدمه لهم من أنشطه تنمي مهاراتهم العلمية المسرحية!! فعلى سبيل المثال، وجدناه يُكلف طلابه، بتأليف مسرحيات صغيرة مقتبسة من «الإلياذة»، ويخصص مكافأة مالية للأوائل في هذه المسابقة. وبعد انتهاء المسابقة، نشرت المجلة خبراً تحت عنوان «في معهد التمثيل الحكومي»، قالت فيه: " كان الدكتور طه حسين قد كلف طلبة معهد فن التمثيل بعمل ملخص لإلياذة هوميروس، وقد ذكرنا ذلك في حينه. وفي الأسبوع الماضي أتم الطلبة

> **لم يعطِ الفكر الظلامي الفرصة لنجاح تجربة أول معهد حكومي تمثيلي في مصر، حيث قام الناقد «محمود طاهر العربي» بالتحريض الديني على معهد التمثيل**

وضع الموجز، وفحصه الدكتور فنجح من بين الطلاب العشرين، الذين تقدموا للامتحان في الإلياذة ثلاثة طلاب". هذا التألق في التدريس من قبل الدكتور طه حسين، شجع «مصطفى القشاشي» -رئيس تحرير مجلة «الصباح»- على نشر بعض محاضرات الدكتور في المجلة، وأول محاضرة نشرها، كانت في يناير 1931 تحت عنوان عام «من دروس معهد التمثيل»، ثم عنوان المحاضرة، وهو «تاريخ الأدب التمثيلي»، ثم عنوان فرعي، وهو «محاضرة الدكتور طه حسين على طلاب المعهد».

لم يعطِ الفكر الظلامي الفرصة لنجاح تجربة أول معهد حكومي تمثيلي في مصر، حيث قام الناقد «محمود طاهر العربي» بالتحريض الديني على معهد التمثيل، وطالب الشيخ «محمود أبو العيون» مفتش الأزهر بالتدخل لمنع الفتيات من تعلم التمثيل وعدم اختلاطهن بالطلاب في هذا المعهد. وبالفعل ذهب الشيخ أبو العيون إلى المعهد، فكتبت إحدى طالبات المعهد تفاصيل زيارته،

وأرسلتها في شكل مقالة إلى صاحب جريدة «الضياء»، الذي نشرها يوم 3 ديسمبر 1930 بعنوان «أدب فضيلة الشيخ أبي العيون وسبابه علناً لمدرّسة فاضلة في معهد فن التمثيل»!! وكان من الصعب على الوزارة تجاهل هذا الموضوع، فتصدى له سكرتير وزير المعارف، ونشر بعد يومين توضيحاً في جريدة «الأهرام» بتاريخ 6 ديسمبر 1930، تحدث فيه عن أساس المشكلة، المتمثلة في أمرين: الأول مادة «الرقص التوقيعي»، التي يدرسها تطبيقياً وعملياً الطلاب مع الطالبات، والأمر الآخر السماح للفتاة بدراسة التمثيل!!

وفي عدد الجريدة نفسه نشر الشيخ (محمود أبو العيون) توضيحاً لهذين الأمرين قائلاً: "... أما عن الأمر الأول، فإنه ليس من المألوف عندنا، ولا عاداتنا الخلقية، ولا من آدابنا القومية التي يجب أن نحتفظ بها أن تهجر العذارى خدورهن إلى معهد رسمي يتعلمن فيه فن الرقص الخليع أو غير الخليع، على «الجازبند» أو على «البيانو». إن للفتاة في خدرها لها أن تلهو ما شاء اللهو البريء، أما أنها توجد بين فتيات وفتيان يضمهم جميعاً معهد واحد، ويتلقون دروس الرقص متشابكين في حلقة واحدة، فلا شك في أن وزارة المعارف ترى فيه (خدشاً) للآداب .. إلخ".

استمر المعهد حتى نهاية عامة الدراسي الأول، وتقدم طلابه إلى الامتحان، وهم: إبراهيم عز الدين، إحسان الشريعي، أحمد البدوي، أحمد النحاس، أحمد شاكر، إسماعيل نظمي، حسني عبد الله، حسين محمود، رفيعة الشال، روحية خالد، زوزو حمدي الحكيم، صالح إبراهيم، طلعت عزمي، عبدالحميد الطلياوي، عبدالسلام النابلسي، عبدالفتاح حسن، عبدالفتاح عزو، عزت القرماني، فاطمة محمد محمد، فهمي حنا، محمد الغزاوي، محمد تقي شمس الدين، محمد عبدالقدوس، منيرة أحمد كامل، نعمات بولس، نفيسة سعيد، يوسف فهمي حلمي.

> "وجد الفكر الظلامي متنفساً له في هجومه الشرس ضد المعهد خدمة لـ "وزير التقاليد" كي يجد مبرراً لإغلاقه، لا سيما وأن المعهد أنشئ بقرار وزاري وليس قرارا ملكيا"

وللأسف الشديد تغير وزير المعارف «مراد سيد أحمد باشا»، الذي افتتح المعهد ووافق على وجوده، بوزير آخر هو «محمد حلمي عيسى باشا»، المشهور بـ«وزير التقاليد»!! وهنا وجد الفكر الظلامي متنفساً له في هجومه الشرس ضد المعهد خدمة لوزير التقاليد كي يجد مبرراً لإغلاقه، لا سيما وأن المعهد أنشئ بقرار وزاري، وليس بقرار ملكي، مما يعني أن الوزير يستطيع إلغاءه بقرار منه!! كذلك اختلاط الجنسين في المعهد، وهو من الأمور التي لا يجوز إقرارها من قبل وزير التقاليد، وإن وافق عليها، فلن يوافق على تعليم البنات الرقص!

وبناءً على ذلك، قامت جريدة «الصاعقة» بالمبادرة الأولى، ونشرت يوم 10 يوليو 1931 مقالة بعنوان «إلغاء معهد التمثيل» عزفت فيها على وترين: الأول أن بعض طلاب المعهد نماذج سيئة لما يضمه المعهد من طلاب وطالبات، والوتر الآخر كان موقف الإسلام من اختلاط الجنسين، ومن تمثيل المرأة! وحول هذين الأمرين قالت الجريدة: "يوم أنشأت الحكومة معهد التمثيل وأنفقت عليه ما أنفقت، كنا غير واثقين من نجاحه! وكنا نحس بأنها تعجلت في عملها قبل الدراسة الوافية للمشروع من جميع نواحيه، وقبل معرفة أخلاق الذين يلتحقون بالدراسة فيه! ولكننا رغم ما داخلنا من الشك، أبى علينا حُبنا للمصلحة العامة

طه حسين

محمد حلمي عيسى باشا وزير المعارف الذي أغلق المعهد

أن نظهر تشاؤمنا، فنتهم بمحاربة المشروعات النافعة، فسكتنا على مضض ننتظر نتيجة العام الأول لهذا المعهد، ونترقب ما تجيء به الأيام من الحوادث. لسنا ندري فائدة لهذا المعهد، ولا نترقب من ورائه نجاحاً لفن التمثيل الجميل! كما أننا نستنكف أن تخرج الفتيات المسلمات على تقاليد المسلمين، فتقف على أعين الناس، تتعلم كيف يضمها رجل أجنبي عنها، وكيف يُحسن تقبيلها على أعين النظارة. وهذا بالطبع من مستلزمات الفن الحديث العاري، الذي يبيح التقبيل بأوقح معانيه".

وانضمت مجلة «الصباح» إلى حملة الهجوم على المعهد، فنشرت كلمة، قالت فيها: "أما أسباب اهتمام معالي حلمي باشا ببحث مسألة معهد التمثيل، فمنها ما أشيع عن سلوك بعض الطالبات وسمعتهن، وأن المعهد بصفته الرسمية المعروفة، لا يمكن أن تسمح الوزارة ببقائه، بينما يضم بين جوانبه طالبات تُقال عنهن الأقاويل، ولا تضمن الحكومة ماذا يكون مصيرهن غداً ما دمن اليوم هكذا. هذه هي النقطة الحساسة أو المشكلة الكبرى في موضوع المعهد. وأرجو من الطالبات أن يغفرن لنا ذنب صراحتنا إذا قلنا إن المعهد إذا أصابه تعديل أو إلغاء، فيجب أن يفهمن إنهن المتسببات لا غيرهن وهن أدرى طبعاً بأنفسهن".

وبناء على ذلك أصدر وزير التقاليد قراراً بإلغاء معهد التمثيل، وتحويله إلى (قاعة محاضرات) يتم فيها فصل الجنسين عن بعضهما، وتكون الدراسة فيه نظرية!! وهذا القرار أثلج صدور المتشددين، فبدأوا حملة لا مثيل لها في تاريخ التشدد في مصر ضد أي فن من الفنون، خشية رجوع الوزير في قراره، أو عودة المعهد مرة أخرى، فنشر «أمين إبراهيم الأزهري» مقالة في جريدة «الدفاع الوطني» بتاريخ 5 أغسطس 1931، نقتبس منها هذه العبارات، حيث قال: "كنا أول من أهاب بوزارة المعارف أن تنشئ معهداً للتمثيل، تقبل فيه طالبات مصريات تعلمهن ذلك النوع من الرقص التوقيعي، وتلك الألعاب الرياضية وحمل السلاح. وقلنا إن وزارة المعارف المسيطرة على التعليم والتربية وصيانة الأخلاق، لا يصح أن تتجاوز بمثل هذا المعهد تقاليد البلاد الإسلامية، والمحافظة على الروح الدينية. وقد عززنا أقوالنا بكثير

من الحجج. ومن أخص ما ذكرناه إن مسألة المسرح في عرفنا لا تزال غاية شهوانية. وأن في بيوت التمثيل ما لا يسع أدب المتأدبين، ولا احتشام المحتشمين. إذ كثيراً ما يتحكم بالمسارح أرباب الأهواء والغوايات الدنيئة. إن الذين أسند إليهم تدريس طلبة هذا المعهد هم الممثلون والممثلات عندنا، ونحن على علم من مسارحنا الحالية، ولا نزال نرى فيها ومنها ما يخالف ديننا مقصوداً وغير مقصود. ونقول غير مقصود في حق أناس ربما يذهبون إلى تلك المسارح بنسائهم وبناتهم للتسلية مع حسن قصد، ولكن بمجرد جلوسهم تتوجه إليهم الأنظار، وقد منعت الشريعة الغراء ذلك صراحة، قال تعالى: «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم». لقد كنا في عجب ودهش، حين أعلنت وزارة المعارف أسماء الناجحات، وفخرت بإقبال الآنسات على هذا الفن ولا سيما اللائي تتعلمن الرقص التوقيعي. وخشينا أن تتمادى هذه الوزارة في الترغيب، فيطمع الذين في قلوبهم مرض، ويدخلون في فن التمثيل أفواجاً، فتنصرف البيئة المصرية من الدين إلى اللهو واللعب، الذي يتحكم به كما قلنا أرباب الغايات السافلة والشهوات الدنيئة. إلا أن وزارة المعارف الحالية كانت عند حسن ظننا فألغته".

كانت هذه أولى مقالات الأزهري المنشورة في جريدة «الدفاع الوطني»، راعية الحملة المتشددة المؤيدة لإلغاء المعهد؛ حيث نشرت الجريدة في اليوم التالي المقالة الثانية للأزهري، تحت عنوان عام «حول إلغاء معهد التمثيل»، وعنوان خاص «الملحدون ينفثون سمومهم فاحذروهم». وفيها هاجم الأزهري محاولات البعض لإلغاء قرار الوزير، وإعادة المعهد مرة أخرى!! وبعد عدة أيام نشرت الجريدة مقالة ثالثة يوم 9 أغسطس 1931، موقعة باسم «مسرحي»، تحت عنوان «وأيضاً الشيخ زكي مبارك»، هاجم فيها الكاتب زكي مبارك، لأن الأخير ناصر المعهد ورفض إلغاءه!!

> **أصدر وزير التقاليد قراراً بإلغاء معهد التمثيل، وتحويله إلى (قاعة محاضرات) وتكون الدراسة فيه نظرية، الأمر الذى أثلج صدور المتشددين**

فقام المسرحي -كاتب المقالة- بالسخرية من زكي مبارك، وعيّره بأنه كان فلاحاً أزهرياً، فأصبح هيولياً -أي لا صفة له ولا صورة- لأنه سافر في بعثة إلى فرنسا!! ونقتبس من هذه المقالة، هذه العبارات:

"اليوم يجيء إلينا شيخ الأمس زكي مبارك، وأفندي اليوم زكي مبارك، وهو هو هيولي لم تتغير سحنتها، وإن تغيرت طباعها وتقاليدها. هذه الهيولي كانت مصرية أزهرية بالأمس القريب، والقريب جداً، فأصبحت اليوم متفرنسة، لا يروق لها إلا الخروج على تقاليد البيئة وقواعد دين الأمة الرسمي، بقيام معهد التمثيل بين ظهرانيها، ليشبع طلاب وطالبات المعهد التمثيلي عواطفهم، على الطريقة الباريسية، وهي طريقة الشيخ مبارك ابن الأزهر وسليل عنصر الفلاحين. ولم هذا؟ لأن الشيخ زكي مبارك، سمحت له الظروف السيئة بالذهاب إلى باريس، والتمتع بمظاهر الخلاعة فيها، ومناظر خشبة المسرح

> **تبنت جريدة «الدفاع الوطني» الحملة ضد كل المدافعين عن المعهد، والرافضين لإلغائه، فضلاً عن صحف أخرى كتبت بنفس الأسلوب المتشدد أيضاً**

الشيخ الأزهري محمود أبو العيون

الآدمية، فعاد إلى مصر يرطن بالفرنسية وهو لم يمكنه أن يحسن لغته العربية، فأنحى على إلغاء معهد التمثيل ووزير الإسلام وزير التقاليد معالي حلمي عيسى باشا. لقد كنا نحسن الظن بالشيخ زكي مبارك لو أنه تمسك بشيء من اللباقة.. بصفته فيه شيء قديم من معنى الثقافة الأزهرية.. وإن كان معهد التمثيل كما يشهد الأستاذ الشيخ زكي مبارك بأن فيه إشباعاً للعواطف من المناظر المسرحية، فلا كان هذا المعهد، ولا كانت فكرته، ما دام الغرض من إنشائه استئصال التقاليد والسفور من حجاب الفضيلة، تجتمع الفتيات هناك وحولهن الفتيان «على عينك يا تاجر» وعلى عين الشيخ زكي مبارك المتفرنس، الذي أصبح فرنسياً أكثر من الفرنسيين، باريسياً أكثر من الباريسيين. لا حول ولا قوة إلا بالله، تغير الشيخ زكي مبارك فخلناه أوروبياً بعد ما خلناه مصرياً، واعتقدناه إباحياً، بعد ما اعتقدناه أزهرياً متديناً، ولا يدوم على حالة واحدة إلا الله، فسبحان مقلب الأحوال".

لم تتوقف جريدة «الدفاع الوطني» عند هذا الحد، بل واصلت حملتها ضد كل المدافعين عن المعهد، والرافضين لإلغائه، فنشرت في أغسطس وسبتمبر 1931، أكثر من عشر مقالات -من يجمعها، يستطيع أن يكتب بحثاً كبيراً عما فيها من أساليب الحجاج من قبل بعض المتشددين، ضد المسرح والتمثيل والمعهد- وهذه بعض عناوينها: بكاء الماديين الأليم حول إلغاء معهد التمثيل.. تهويش الماديين وتلبيسهم حول الذكر الحكيم.. قتل الماديين الخراصون ما أضلهم عن الحق.. هل هذا مسلم.. حتام يبكي الماديون على معهد التمثيل؟.. غنم الماديين من محاربة الدين الإسلامي.. إلخ!! وأطرف مقالة وجدتها وسط هذه المقالات، كان عنوانها «الماديون يحتجون علينا برأي الحاخام في التمثيل والرقص التوقيعي»!!

إذا كانت جريدة «الدفاع الوطني»، تبنت حملة الكتابات المتشددة ضد من يعارض قرار إلغاء المعهد، فهناك صحف أخرى كتبت في هذه الحملة وبالأسلوب المتشدد أيضاً، مثل جريدة «المساء» التي نشرت مقالتين -في أغسطس 1931- الأولى عنوانها «المرأة لم تُخلق للرقص والتمثيل وإنما خُلقت لتكون مربية الشعب»، وفيها استخدم الكاتب أدلة كثيرة من الآيات القرآنية -وبالأخص من سورة النور- تتوافق مع عنوان المقالة، للدلالة على أن غلق المعهد، كان أمراً محموداً دينياً. أما المقالة الأخرى، فكانت بعنوان «ليست وظيفة المرأة الرقص والتمثيل وإنما هي لتربية الشعب»، وفيها استكمل الكاتب فكرته السابقة، مع ذكر الآيات القرآنية الدالة على ما يقول.